سورة الأنفال

obeikandl.com

﴿ سورة الأنفال ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾

الأنفال ما يُنفَل به السادة العارفون فى حضرة ربهم من عطايا المواهب الإلهية ودرر التحف القيومية.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

هذا مقام الخائفين فقط لأنهم فى الوجل قائمين، وقد ذكره الله عز وجل فى سورة الزمر فقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾.

ومعلوم أن الخشية هى الخوف.

وهناك مقام أعلى منه الذى ذكره الحق تعالى فى سورة آل عمران قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾.

وهو مقام ديمومية الذكر عند العارف فى كل أحواله، فلا يفتأ يذكر ربه عند الخوف والرجاء والبسط والقبض وهكذا فى مجمل أحواله.

وهناك من ينقلهم الذكر من خوف الأحوال إلى الطمأنينة وهى بداية التمكين يقول تعالى فى سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

لهم درجات هو سبحانه يعرفها وغيره لا، ويعرفها لمن يشاء من عباده من أهل التمييز.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾

لأن البيت هو موطن الشهوات والركون إلى الدنيا، فأحب ﷺ أن يخرجهم من مواطن شهواتهم إلى مواطن الجهاد لكى يخلصهم من أهوائهم وشهواتهم، لذلك كان فريق من المؤمنين كارهين، وذلك لثقل أعباء الجهاد على ذواتهم.

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وهم الذين لم تنكشف لهم حجب الغيب بعد، برغم أن هذه الحجب تبينت لغيرهم، فهم فى جدال مع من انكشفت لهم تلك الحجب لنقصان إيمانهم.

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿٧﴾ ﴾

هذا مقام الوسائط لكونه سبحانه أوحى إلى الملائكة فجعلهم وسائط لأهل الإيمان أما الأكابر فقد ذهبت إليهم الملائكة كإبراهيم خليل الله، لما ذهب إليه جبريل وهو فى النار فقال له: ألك حاجة؟

قال: ((**أما لك فلا ولكن علمه بحالى يغنى عن سؤالى**)).

فهؤلاء لا وسائط بينهم وبين الحق فى المعونة والقربة.

﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾

أى سألقى فى قلوب أهل الحجب الكثيفة والظلمات الشديدة رعب الخروج إلى ما أراده الله منهم، فلا ينتقلون إلى طور غير طورهم ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾.

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

هذه صفة فناء الرامى المصنوع فى الرامى الحقيقى وهو الله، وهى المشار إليها بوحدة الأفعال عند السادة العارفين.

فالعارف يرى أن فعله هو نفس فعل الله، لا يخرج عنه قدر أنملة فالكون كله قائم بالله لو تخلى الله عنه قدر لحظة لأصبح هباءً منثوراً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾، فالفاعل الحقيقى فى الأكوان هو الله لا محالة، قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

هذه صفة الطالب والمطلوب، فليس من طلب الفتح بفمه كمن جاءه بدون طلب منه.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

الذين سقطوا من عين الله، فهم شر الدواب، فالكلب والحمار أفضل منهم عند الله، وهذا فيه جواز تفضيل الكلاب وغيرها من الدواب على هؤلاء، ولذلك قال بعدها سبحانه:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾

فحياة العارف الحقيقية فى استجابته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومعلوم لنا أن الأنبياء لم يطلبوا منا نظيراً مادياً على دعوتهم إلى الله عز وجل، فكل همهم أن يروا جملة البشر فى حياة ربانية مستقيمة غير معوجة.

﴿ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

واعلم أن من لم يستجب لما يحييه من قِبَل الأنبياء وأهل المعرفة بالله حال الله بينه وبين قلبه فلم يصله شئ من أنوار النبوة لاستكباره وعتوه مثل أبى جهل وأبى لهب.

﴿ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

إعلام لهم بفضله عليهم فى الموطن الأول وهو موطن بداية العارف وضعفه وقلة بضاعته، ومثله فى هذا الموطن كالبقلة النابتة فى الأرض فى بدايتها فى مثال عجز العارف.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

الفرقان هو الحجاب الحاجز بين النور والظلمات والحق والباطل، تتكشف حقيقته للسادة العارفين فى عالم الكشف، فيفرقون به بين عوالم الأضداد، كما حدث لكثير منهم أن أعطى علامات متعددة فى كثرتها يعرف بها العالمين، مثل علامة نبض العرق التى كانت فى الحارث المحاسبى وأبى العباس المرسى.

ومنهم من يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب ويعطى هذا الفصل بنور مميز من قبل الجناب الإلهى.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أقامه الحق تعالى فى مواطن العبرات والحسرات، ومجامع الاختبارات، لكى يظهر فرادانيته ويبرز درجته، ويعلمهم بتقدمه ﷺ على الكل، فهو الأول السابق، والكل انبثق عنه، وانتهى إليه.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

أعطاه ﷺ من خاصية الربوبية، وهذا لم يقله لنبى قبله كان من كان، فهو ﷺ حرز لنا من شهواتنا وذنوبنا، وهذه درجة صعبة على من كان قبله من الأنبياء يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

فإن مقام استغفاره الشريف لنا نحن الأمة المحمدية ممحق للذنوب، فإنها ممحوة بفضل استغفاره ﷺ لنا.

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

أى فى مواطن الامتحانات والاختبارات، فإن كل إناء بما فيه ينضح، وإرادة الله بادية ومنتهية فيما أراده الله منها، وفى الحقيقة فإن الأعيان منفذة لقدر الله فيها ،رضيت أم أبت، قال تعالى :

﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾.

﴿ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

من باب التمويه الإلهى على الأكابر من الأنبياء وغيرهم، من مقام لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وهذه المسألة كمسألة الخضر مع موسى عليه السلام فليس كل نبى يعلم نهاية الأقدار، فالحق ها هنا

أراه ﷺ الكثير قليلاً لأجل عدم الفشل، فأراه عين الكثرة فى القلة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

أى إذا لقيتم فئة الباطل وظلمات النفوس فاثبتوا أمامها بأنوار التوحيد فلا خير إلا فى إخراج النفس من الظلمات إلى النور.

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾

هذا يدل على أن إبليس اللعين من ذوى الكشف وأنه يرى حقائق الأمور ويعلم العواقب الوخيمة، وإلا لما قال: إنى أخاف الله.

وهذا دال أيضاً على أنه يزج بالمؤمن فى المهالك ببصيرة نافذة ليس لها نظير، وهذا دال أيضاً على أنه ممن يخاف الله ولكنه ينفذ إرادة الله فيه التى لا يستطيع أن يخرج عنها لأنه من جند الله.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

أى فإما تثقفن أى تعثرن على جنود الباطل من أهل الهوى القاتل والحجب الظلمانية والقواطع الشهوانية فشردها وادفعها عن نفسك بشتى السبل ما استطعت، لكون المريد فى حرب مع هذه القواطع فليزجرها عن نفسه.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

هذا فى مخيلتهم وذهنهم أنهم سبقوا أهل الفضل والإيمان ، ولكن فى الحقيقة استدراج لهم من قِبَل الحق عز وجل ، إذ نصرهم الظاهرى هو خسارة فى حقيقة الأمر وباطنه .

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

لا تنظر يا محمد إلى الكثرة فى الأعيان بل انظر إلى القوة الناصرة الحقيقية .

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

إشارة إلى عدم التدخل فى خصائص الربوبية مهما كانت رتبة المتدخل قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

وقال تعالى : لنوح عليه السلام مؤنباً له لما أراد أن يتدخل فى هذا المقام: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴿٦٥﴾ ﴾

الباطنى الذى هو أشق من القتال الحسى ولذلك لما رجع ﷺ من الجهاد قال : ((**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**)) .

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

إشارة إلى تفضيل القلة الصادقة على الكثرة الكاذبة، فإنه بجنود الحق الصادقة تنهار أخاديع جنود الباطل وأوهامهم وتتلاشى قال

تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾

هذا عتاب له ﷺ على رقته ورأفته الزائدة، لكونه كما وُصف رؤوف رحيم فربما زادت صفة الرأفة فعارضت مرادات الحق تعالى فيما أراد.

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

فليست هذه خيانتهم الأصلية فقد خانوه في عالم الذر الأول من قبل، فتمكنت هذه الصفة الخبيثة من ذواتهم، فهم خونة في أصل طينتهم.